الاعجاز القرآني ما بين وسطية الأمة ووسطية مكة

د. محمد حسن علي ظاهر

ملخص البحث

حاول الباحث في دراسته البحث والتقصي عن السر في هذا الاعجاز الرباني لهذه الوسطية، وجاء بحثه في مقدمة ومبحثين وخاتمة: الأول في بيان الوسطية ومدلولاتها في القرآن والسنة، وأما المبحث الثاني فقد تناول الاعجاز القرآني في وسطية الأمة الاسلامية ووسطية مكة المكرمة ختم البحث بنتائج، منها: أن للوسطية مدلولات عدة في القرآن الكريم والسنة النبوية منها: أن كلمة (وسط) في القرآن الكريم وردت في عدة مواضع، وذلك بتصاريفها المتعددة، كما جاءت الأحاديث الشريفة لتؤكد معنى الوسطية البعيدة عن الغلو والتطرف وخط الاعتدال والتوازن الذي دعا إليه الاسلام ما بين الدنيا والآخرة، وقد جاءت وسطية الاسلام في كافة مجالات الحياة الدينية والدنيوية، وأن من مكانة دين الله الحنيف ومن مكانة أمة الاسلام ووسطيتها نالت الكعبة المشرفة بيت الله الحرام مكانتها الجغرافية وسط الأرض، ونالت معها مكانتها المعنوية كقبلة للمسلمين في صلاتهم في كل مكان من الأرض، ومقتبلاً للناس لأداء مناسك العمرة والحج، وبالتالي تمثل الاعجاز القرآني في التوافق العجيب ما بين اتصاف الأمة الإسلامية بالوسطية القائمة على العدالة والخيرية والتي مكنتها لأن تكون أمة القيادة والتوجيه ثم بتوسط موقعها من الأرض وذلك لكون مكة المكرمة تقع في مركز الكرة الأرضية للعالم أجمع، فهي أمة الخير، وتمتلك ناصية الميزان، ورأيها المعتمد على وحي الله تعالى هو الرأي السديد في معالجة جميع القضايا والشؤون.

The Qur'anic Miraculousness Between Nation Moderation and Mecca's Moderation

Dr. Muhamed Hassan Ali Daher

Abstract

The research is an attempt to investigate the term moderation in the Qur'an and Sunnah .The research comes with an introduction, two dimensions and a conclusion: The first dimension deals with the term moderation and its implications in the Qur'an and Sunnah, The second dimension deals with the Qur'an miraculousness of moderation in the Islamic nation and in Mecca's moderation. The conclusions state that: Moderation has several meanings in the Qur'an and the Sunnah i.e. the word "middle" in the Holy Qur'an has been mentioned in several places with its all derivations. Moderation of Islam comes in all areas of religious and secular life .From the status Allah's religion and the prestige of the Muslim nation, the Mecca receives its centrality which is considered Allah 's Holy House.. Since Mecca lies in the center of the globe for the whole world. It is considered a nation of good deeds which possesses the cornerstone of the balance, and its belief is based on the revelation of Allah then its decision is the right one in dealing with all issues and affairs

الإعجاز القرآني

ما بين وسطية الأمة ووسطية مكة

أ.م.د محمد حسن علي ظاهر

التدريسي في كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة

نينوى

المقدمة

يعتبر القرآن الكريم أعظم ما عرفته الإنسانية في تاريخها الممتد الطويل، تضمن القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الإنساني السليم، تشده الإنسانية فتجد فيه مبتغاها من التشريعات الفردية، والعلاقات الأسرية، والمعاملات الاقتصادية والحربية، والقوانين المدنية، والأنظمة الدولية، وبعبارة أوجز تجد فيه الأمة كل ما تحتاج إليه في حياتها العامة والخاصة، في دينها ودنياها. واهتم العلماء بالقرآن الكريم أيما اهتمام في مجالات علومه المتعددة من تفسير وتجويد وقراءات وعقيدة وقصص أنبياء وبيان للأحكام ... الخ من مجالاته المتعددة. وفي مجال التفسير فقد ذهب المفسرون إلى تفسير آياته وفهمها ومعرفة دلالاتها واستنباط الأحكام الشرعية منها وبيان أسباب النزول والناسخ والمنسوخ منها.

وقد وردت في هذا الكتاب العظيم العديد من الآيات المعجزات، التي أراد الله بها بيان قدرته المطلقة على كل شيء ودون سائر المخلوقات، ليتحقق بها عظمة هذا الدين العظيم وتكون تعبيراً عن الايمان المطلق لمن ﴿ كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]. إذ وردت العديد من الآيات القرآنية التي بين الله بها أنه هو خالق كل شيء فقال عز من قائل﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾[2]، إلى غيرها من الآيات. وكان للدعوة الاسلامية حصتها في الاعجاز القرآني، فوردت آيات كثيرة تؤكد على انجاز أمر الدعوة والتمكين لهذا الدين العظيم في الارض،

(١) سورة ق: من الآية ٣٧.
(٢) سورة الرعد: الآية ١٦.

قال تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1].

وبدورها فقد حظيت آية الوسطية الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[2] باهتمام المفسرين والعلماء، سيما فيما يخص وسطية أمة الاسلام بين الأمم وبيان معناها القائم على العدل والشهادة لأنبياء الله ورسله بأنهم قد أبلغوا رسالات ربهم ... الخ من التفاسير التي سنتناولها في موضعها من هذا البحث، ولكن الكثير من هؤلاء المفسرين لم يتطرقوا إلى الاعجاز القرآني الوارد في هذه الآية الكريمة، والرابط بموقع الكعبة الشريفة الوسط في الأرض لتكون قبلة لأمة العدل والشهادة.

فمن هنا جاءت رغبة الباحث في البحث والتقصي عن السر في هذا الاعجاز الرباني لهذه الوسطية، فاندرج البحث تحت عنوان « **الاعجاز القرآني ما بين وسطية الأمة ووسطية مكة** «في مقدمة ومبحثين وخاتمة، حمل المبحث الأول عنوان « الوسطية ومدلولاتها في القرآن والسنة» أما المبحث الثاني فقد اندرج تحت عنوان «الاعجاز القرآني في وسطية الأمة الاسلامية ووسطية مكة المكرمة» ثم جاءت الخاتمة لتبين أهم النتائج التي خلص إليها

(١) سورة النور: الآية ٥٥.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

البحث.

وقد اعتمد الباحث على جملة من المصادر الأولية والمراجع الحديثة أهمها: أخبار مكة للأزرقي، وتفسير ابن كثير، وتاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف لابن الضياء، ووسطية الاسلام لصالح حبيب الله الصيني، والوسطية في القرآن الكريم للصلابي، وغيرها.

وختاماً نقول أن كل باحث لا يمكن أن يسلم من الخطأ والسهو لأن الكمال لله وحده، راجين منه عز وجل أن يغفر لنا زلاتنا وأن يسدد خطانا ويوفقنا لما يحب ويرضى ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول:
الوسطية ومدلولاتها في القرآن والسنة

المطلب الأول: مفهوم الوسطية

أولاً: الوسطية لغةً: وردت كلمة (وسط) في القرآن الكريم في عدة مواضع، وذلك بتصاريفها المتعددة، حيث وردت بلفظ: (وسطا) و (الوسطي) و (أوسط) و(أوسطهم) و (وسطن)[1]. ووسط الشيء: ما بين طرفيه، وأوسط الشيء أفضله وخياره، كوسط المرعى خير من طرفيه[2]، ولذلك قيل: خيار الأمور أوساطها، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾[3]، أي على شك فهو على طرف من دينه غير

(١) ينظر: الوسطية في القرآن الكريم، عَلي مَحَّمد محمد الصَّلاَّبي، ط١، مكتبة الصحابة _ مكتبة التابعين، (الشارقة – القاهرة: ١٤٢٢هـ)، ص١٧.

(٢) ينظر: لسان العرب، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، (بيروت: ١٤١٤)، ٧/ ٤٢٦.

(٣) سورة الحج: من الآية ١١.

متوسط فيه ولا متمكن[1]، ولما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة كقوله تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[2]، فهذا تفسير الوسط وحقيقة معناه، وقال بعضهم وسطاً عدلاً، وقال بعضهم خياراً، واللفظان مختلفان والمعنى واحد لأن العدل خير والخير عدل، وقيل في صفة النبي ﷺ: إنه كان من أوسط قومه أي خيارهم، فهو صلى الله عليه وسلم من خير مكان في نسب العرب، وكذلك جعلت

أمته أمة وسطاً أي خياراً[3]. ويقال شيء وسط أي بين الجيد والرديء[4].

ومن خلال ذلك نجد بأنه كيفما تصرفت هذه اللفظة لغوياً، فإنها لا تخرج في معناها عن معاني العدل والفضل والخيرية والنصف والبينية والمتوسط بين الطرفين.

ثانياً: الوسطية اصطلاحاً: من خلال المعنى اللغوي لكلمة الوسطية نصل إلى المعنى الاصطلاحي لها وهي: «مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة، والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجة عليهم»[5]. أو «هي المنهج الرباني، والنظام الكوني الإلهي، وسنة اللَّه في خلقه، وهي تنسجم مع الفطرة الإنسانية، ولذلك فالخير كلُّه في الوسطية التي جاء بها الإسلام للأمة الإسلامية وللإنسانية جمعاء، في كل زمان ومكان»[6].

من هنا نجد بأن وسطية الاسلام جاءت في كافة مجالات الحياة الدينية والدنيوية،

---

(١) ينظر: المصدر السابق: ٧/ ٤٢٨.

(٢) سورة البقرة: من الآية ١٤٣.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي(ت: ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (دمشق:١٩٧٩م)، ٦/ ١٠٨؛ لسان العرب: ٧/ ٤٣٠،٤٢٨_٤٣١.

(٤) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي(ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية ، (بيروت: د.ت)، ٢/ ٦٥٨.

(٥) الوسطية في القرآن الكريم، ص٣٣.

(٦) وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار، عبد العزيز بن عثمان التويجري، وزارة الأوقاف السعودية، (الرياض: د.ت)، ص١٢.

فوسطية الإسلام في الشريعة هو اتسام الشريعة في مجال العبادات والمعاملات بالوسطية، فهي بين الغلو والتهاون، بين الإفراط والتفريط. ووسطية الإسلام في الأخلاق بمعنى أن الجانب السلوكي التطبيقي في المعاملات بين الناس عماده الوسطية والاعتدال في البذل والإنفاق، وفي القضاء والاقتضاء، وفي البيوع، وفي التقاضي وفي سائر الأمور. ووسطية الإسلام في منهج الدعوة بمعنى أن منهج الدعوة الاسلامية قائم على الاعتدال وأساسه الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وعماده اللين والرفق في غير ضعف، وفي الوقت ذاته الجدال بالتي هي أحسن للإقناع وإقامة الحجة، ثم الجلاد لمن كابر وعاند، ولكن دون إكراه ولا قهر، فمن آمن فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن اختار دينه فلا حرج على أن يكف عن المسلمين يده ولسانه[1].

وبالتالي فان الوسطية تعني : «التوازن في كل الأمور، في التصور والاعتقاد والتعبد والتنسك والاخلاق والسلوك والمعاملة والتشريع»[2].

المطلب الثاني: مدلولات الوسطية في القرآن والسنة

أولاً: مدلولات الوسطية في القرآن الكريم: وردت كلمة (وسط) في القرآن الكريم في عدة مواضع، وذلك بتصاريفها المتعددة، حيث وردت بلفظ: (وسطا) و (الوسطى) و (أوسط) و(أوسطهم) و (وسطن)[3].

١. وردت كلمة وسطاً في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[4].

وقد ورد في تفسير هذه الكلمة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله

(١) ينظر: وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، عبد الرب نواب الدين آل نواب، وزارة الأوقاف السعودية، (الرياض: د.ت)، ص١٤_١٧.
(٢) وسطية الاسلام، صالح حبيب الله الصيني، وزارة الأوقاف السعودية، (الرياض: د.ت)، ص٩.
(٣) ينظر: الوسطية في القرآن الكريم، ص١٧.
(٤) سورة البقرة: من الآية ١٤٣.

ﷺ: ((يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ فذلك قوله جل ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾)) والوسط: العدل[1].

٢. كما وردت كلمة الوسطى في قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ ﴾[2] والذي عليه أغلب المفسرون أنها صلاة العصر لأنها واقعة بين صلاتي الليل والنهار[3].

٣. وجاءت كلمة أوسط في قول الله تعالى في كفارة اليمين: ﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ ﴾[4]. وفسر العلماء « أوسط الطعام « هنا بأنه لا مغالاة في جودته أو في رداءته، وكذلك في ثمنه ما بين غلو في الارتفاع أو نزول في الانخفاض[5].

٤. وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨ ﴾[6]. فأوسطهم أي: أعدلهم[7].

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، (بيروت: ١٤٢٢هـ)، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم: ٤٤٨٧، ٦/ ٢١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.

(٣) ينظر: وسطية الاسلام، ص٢.

(٤) سورة المائدة: من الآية ٨٩.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص٢.

(٦) سورة القلم: الآية ٢٨.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ص٢.

٥. وفي قوله عز من قائل﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾[١]. يقسم الله تعالى بالخيل وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب[٢]، وتوسطن متلبسات بالنقع جمعاً من جموع الأعداء، ويقال: وسطت المكان، أي: صرت في وسطه[٣].

ثانياً: مدلولات الوسطية في السنة النبوية: جاءت السنة النبوية لتؤكد ما دعا إليه القرآن الكريم من المنهج الوسط المعتدل الذي جاء به الاسلام، ومن ذلك:

١. النفر الذين جاءوا يسألون عن عبادة النبي (ﷺ): ((فقال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا: أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني))[٤]. وفي هذا الحديث تأكيد على خط الاعتدال الذي هو سمة هذا الدين الحنيف.

٢. ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله (ﷺ) يقول: ((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر))[٥]. إذ أن هذا الدعاء ليكشف الوسطية التي جاء الاسلام بها في العبادة،

---

(١) سورة العاديات: الآية ٥.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، ط١٧، دار الشروق، (بيروت_ القاهرة: ١٤١٢هـ)، ٦/ ٣٩٥٨.

(٣) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، (دمشق_ بيروت: ١٤١٤هـ)، ٥/ ٥٨٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم: ٥٠٦٣، ٧/ ٢.

(٥) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: د.ت)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل،

والتوازن الذي دعا إليه ما بين الدنيا والآخرة، فلا طلب للدنيا على حساب الآخرة ولا للآخرة على حساب الدنيا التي فيها يجمع المؤمن حسناته التي يدخل بها جنات ربه عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[1].

قوله (ﷺ): ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله))[2]. فالإطراء: الإفراط في المدح: وهو المديح بالباطل، تقول: أطريت فلَانا: مدحته فأفرطت في مدحه. وَقيل: الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. والمراد به هاهنا المدح الباطل. فالذين أطروا عيسى أفرطوا في مدحه فادعوا له بالألوهية وأنه ولد الله، تعالى الله عن ذلك، ولذلك قال ﷺ: " ولكن قولوا: عبد الله ورسوله "، وذلك من باب هضمه نَفسه وإظهاره التواضع[3].

رقم: ٢٧٢٠، ٤/ ٢٠٨٧.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها، رقم: ٣٤٤٥، ٤/ ١٦٧.

(٣) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، (الرياض: د.ت)، ١/ ٦٥؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: د.ت)، ١٦/ ٣٧.

المبحث الثاني
الاعجاز القرآني في وسطية الأمة ووسطية مكة

المطلب الأول: وسطية أمة الاسلام بين الأمم:

منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام وخلق منه زوجته بث منهما ذريتهما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾[1] بدأ الخلق بالتكاثر فأصبحوا قبائل كثيرةً وشعوباً قال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[2]، ثم اختلفوا فأمسوا أمماً عدة، فبعث الله تعالى إليهم أنبياءه ورسله مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾[3]، يقول ابن عباس (رضي الله عنهما): (كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق. فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)[4]. فاختلفت الأمم حتى بعث الله تعالى أمة محمد (ﷺ) فهداها لما اختلفت به الأمم من قبلهم، قال عز من قائل: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾[5]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

---

(١) سورة النساء: من الآية ١.
(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.
(٣) سورة البقرة: من الآية ٢١٣.
(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، (الرياض:١٤٢٠هـ)، ١/ ٥٦٩.
(٥) سورة البقرة: من الآية ٢١٣.

قال النبي (ﷺ): ((نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فالناس لنا فيه تبع))[1].

وروي أنهم اختلفوا في يوم الجمعة، فاتخذ اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد. فهدى الله أمة محمد ليوم الجمعة. واختلفوا في القبلة، فاستقبلت النصارى المشرق، واليهود بيت المقدس، فهدى الله أمة محمد للقبلة. واختلفوا في الصلاة، فمنهم من يركع ولا يسجد، ومنهم من يسجد ولا يركع، ومنهم من يصلي وهو يتكلم، ومنهم من يصلي وهو يمشي، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك. واختلفوا في الصيام، فمنهم من يصوم بعض النهار، ومنهم من يصوم عن بعض الطعام، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك. واختلفوا في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً، فجعله الله حنيفاً مسلماً، وهدى الله أمة محمد للحق من ذلك. واختلفوا في عيسى (عليه السلام)، فكذبت به اليهود، وقالوا لأمه بهتاناً عظيماً، وجعلته النصارى إلهاً وولداً، فجعله الله روحه وكلمته، وهدى الله أمة محمد (ﷺ) للحق من ذلك[2]. فأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الاختلاف، واعتزلوا الاختلاف، وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، من قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) ينظر: المصدر السابق، ١/ ٥٧٠.
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير، ١/ ٥٧٠.

بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[1] فهم شهود على قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم شعيب، وآل فرعون، أن رسلهم قد بلغوهم، وأنهم قد كذبوا رسلهم. وفي قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه: "وليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"، وكان أبو العالية يقول: في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن[2].

هكذا كانت من أبرز سمات الأمة الاسلامية « الوسطية «، فالإسلام وسط فلا إفراط ولا تفريط، وسط فلا طغيان ولا نقصان، وسط فلا تشدد ولا ترخص، وسط بين رعاية حقوق الفرد مع رعاية المصلحة العامة، فالوسطية تعني العدل، فلا ظلم لجانب على حساب الآخر[3]. وهذه الوسطية هي التي أوصلت الاسلام إلى أرجاء المعمورة، فانتشر بين الناس بما عرف عنه من العدل والحرية والتسامح والمساواة إذ أن أساس دعوته الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وعماده اللين والرفق في غير ضعف، وفي الوقت ذاته الجدال بالتي هي أحسن للإقناع وإقامة الحجة، دون إكراه ولا قهر، فمن آمن فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن اختار دينه فلا حرج على أن يكف عن المسلمين يده ولسانه.

المطلب الثاني: وسطية الكعبة ومكة المكرمة في الأرض

بعث الله تعالى ملائكته فقال: (ابنوا لي بيتاً على مثال البيت المعمور[4] وقدره ففعلوا، وأمر الله أن يُطاف به كما يُطاف بالبيت المعمور، وأن هذا كله كان قبل خلق آدم u ...

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.
(٢) ينظر: المصدر السابق، ١/ ٥٧٠.
(٣) ينظر: وسطية الاسلام، ص٩.
(٤) البيت المعمور: كعبة أهل اسماء، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. ينظر: صحيح البخاري، رقم: ٣٦٧٤، ٣/ ١٤١٠؛ صحيح مسلم، رقم: ٤٢٩، ١/ ٩٩.

وأن الأرض دُحيت من تحته، ولذلك سميت مكة أم القرى أي أصل القرى)[1]. وجعل الله تعالى بيته الحرام الذي بنته الملائكة في وسط الأرض وتحت البيت المعمور مباشرة[2].

وقد ميز الله تعالى بيته الحرام على مساجد الأرض كلها بأن جعله أول بيت بني لعبادته عزوجل بكيفية مخصوصة وهي الطواف حوله واستلام الركن الأسود والوقوف عند بابه الملتزم بذلة وخضوع وانكسار وخشوع واستقباله والتوجه إليه في الصلاة حال القرب والبعد، وجعل الصلاة فيه بمائة ألف صلاة، إلى غير ذلك مما اختصه الله تعالى من المزايا والاسرار، مع أن المساجد كلها تسمى بيوت الله، قال تعالى في سورة النور: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ ﴾[3]، لكن شأن تلك المساجد غير شأن هذا المسجد الحرام الذي فيه بيت الله المعظم الذي يتوجه إليه كل من صلى في تلك المساجد أو صلى في غيرها في أي بقعة من بقاع الأرض[4].

وفي هذا اشارة إلى العلاقة بين وسطية الاسلام ووسطية الكعبة المشرفة من الأرض، فدين الله في الآخرة هو الاسلام قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾[5]، فهو الدين الباقي والمهيمن على غيره من الأديان، وكل أنبياء الله ورسله يدينون به يوم القيامة، وقبلتهم يومئذٍ البيت المعمور كعبة أهل السماء وهو فوق كعبة المسلمين في

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، بهاء الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي المعروف بابن الضياء (ت: ٨٥٤هـ) ، تحقيق: علاء إبراهيم، أيمن نصر، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٤٢٤هـ)، ص٢٧.

(٢) ينظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (ت: ٢٥٠هـ)، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، (بيروت: د.ت)، ١/ ٣٤.

(٣) الآية ٣٦.

(٤) ينظر: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، محمد طاهر الكردي المكي، ط١، مكتبة النهضة الحديثة ودار خضر للطباعة، (مكة المكرمة_ بيروت: ١٤٢٠هـ)، ٢/ ١٢٣.

(٥) سورة آل عمران: من الآية١٩.

الأرض، وطواف الملائكة له كطواف المسلمين حول الكعبة[1].

فمن مكانة دين الله الحنيف ومن مكانة أمة الاسلام ووسطيتها نالت الكعبة المشرفة بيت الله الحرام مكانتها الجغرافية وسط الأرض ونالت معها مكانتها المعنوية، يقول الامام الأزرقي في اطار تفسيره لقول الله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[2]: (بلغنا أن اليهود قالت: بيت المقدس أعظم من الكعبة، لأنه مهاجر الأنبياء، ولأنه في الأرض المقدسة. وقال المسلمون: الكعبة أعظم. فبلغ ذلك النبي ﷺ، فنزل: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ حتى بلغ: ﴿ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[3]، وليس ذلك في بيت المقدس)[4].

ثم إن اتصاف الأمة الإسلامية بالعدالة والخيرية يؤهلها لأن تكون أمة القيادة والتوجيه، لالتزامها شرف الكلمة والإحسان والعدل، والتوازن والاعتدال، ولصواب عقيدتها، وإحكام نظامها وشريعتها ومنهجها، بل موقعها في الأرض وتاريخها ومناخها، ولكون مكة المكرمة في مركز وسط الكرة الأرضية للعالم أجمع، فهي أمة الخير، وتملك ناصية الميزان، ورأيها المعتمد على وحي الله تعالى هو الرأي السديد في معالجة جميع القضايا والشؤون[5].

ولهذا الاعجاز الالهي ما بين وسطية الاسلام ووسطية الحرم المكي بين الشرق والغرب يقول هاملتون جب: (أؤمن بأن الإسلام لا تزال له رسالة يؤديها إلى الإنسانية جمعاء حيث يقف وسطا بين الشرق والغرب، وإنه أثبت أكثر مما أثبت أي نظام سواه

(١) ينظر: تاريخ مكة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ص٢٧.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٦.
(٣) سورة آل عمران: من الآية ٩٧.
(٤) أخبار مكة: ١/ ٧٥.
(٥) ينظر: وسطية الإسلام وسماحته، وهبة بن مصطفى الزحيلي، وزارة الأوقاف السعودية، (الرياض: د.ت)، ص٧.

مقدرة على التوفيق والتأليف بين الأجناس المختلفة، فإذا لم يكن بدّ من وسيط يسوي ما بين الشرق والغرب من نزاع وخصام فهذا الوسيط هو الإسلام)[1].

(١) المرجع نفسه، ص٦.

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز للإعجاز القرآني ما بين وسطية مكة ووسطية الأمة خلص البحث إلى جملة من النتائج الآتية:

١. يقصد بوسطية الأمة في المعنى الاصطلاحي: مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة، والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجة عليهم.

٢. وللوسطية مدلولات عدة في القرآن الكريم والسنة النبوية منها: أن كلمة (وسط) في القرآن الكريم وردت في عدة مواضع، وذلك بتصاريفها المتعددة، حيث وردت بلفظ: (وسطا) و (الوسطى) و (أوسط) و(أوسطهم) و (وسطن). كما جاءت الأحاديث الشريفة لتؤكد معنى الوسطية البعيدة عن الغلو والتطرف وخط الاعتدال والتوازن الذي دعا إليه الاسلام ما بين الدنيا والآخرة ... الخ.

٣. جاءت وسطية الاسلام في كافة مجالات الحياة الدينية والدنيوية، فوسطية الإسلام في الشريعة هو اتسام الشريعة في مجال العبادات والمعاملات بالوسطية، فهي بين الغلو والتهاون، بين الإفراط والتفريط. ووسطية الإسلام في الأخلاق بمعنى أن الجانب السلوكي التطبيقي في المعاملات بين الناس عماده الوسطية والاعتدال في البذل والإنفاق، وفي القضاء والاقتضاء، وفي البيوع، وفي التقاضي وفي سائر الأمور. ووسطية الإسلام في منهج الدعوة بمعنى أن منهج الدعوة الاسلامية قائم على الاعتدال وأساسه الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وعماده اللين والرفق في غير ضعف، وفي الوقت ذاته الجدال بالتي هي أحسن للإقناع وإقامة الحجة.

٤. ومن مكانة دين الله الحنيف ومن مكانة أمة الاسلام ووسطيتها نالت الكعبة المشرفة بيت الله الحرام مكانتها الجغرافية وسط الأرض، ونالت معها مكانتها المعنوية كقبلة

للمسلمين في صلاتهم في كل مكان من الأرض، ومقتبلاً للناس لأداء مناسك العمرة والحج.

٥. وبالتالي تمثل الاعجاز القرآني في التوافق العجيب ما بين اتصاف الأمة الإسلامية بالوسطية القائمة على العدالة والخيرية والتي مكنتها لأن تكون أمة القيادة والتوجيه، لالتزامها شرف الكلمة والإحسان والعدل، والتوازن والاعتدال، ولصواب عقيدتها، وإحكام نظامها وشريعتها ومنهجها. ثم بتوسط موقعها من الأرض وذلك لكون مكة المكرمة تقع في مركز الكرة الأرضية للعالم أجمع، فهي أمة الخير، وتمتلك ناصية الميزان، ورأيها المعتمد على وحي الله تعالى هو الرأي السديد في معالجة جميع القضايا والشؤون.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: المصادر الأولية:

١. أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (ت:٢٥٠هـ)، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، (بيروت: د.ت).

٢. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، محمد طاهر الكردي المكي، ط١، مكتبة النهضة الحديثة ودار خضر للطباعة، (مكة المكرمة_ بيروت:١٤٢٠هـ).

٣. تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، بهاء الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي المعروف بابن الضياء (ت: ٨٥٤هـ) ، تحقيق: علاء إبراهيم، أيمن نصر، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٤٢٤هـ).

٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، (الرياض:١٤٢٠هـ).

٥. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي(ت: ٢٥٦)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، (بيروت: ١٤٢٢).

٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد بن

موسى بن أحمد بن حسين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: د.ت).

٧. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، (دمشق_ بيروت: ١٤١٤).

٨. كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، (الرياض: د.ت).

٩. لسان العرب، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، (بيروت: ١٤١٤).

١٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ - صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: د.ت).

١١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي(ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية ، (بيروت: د.ت).

١٢. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي(ت: ٣٩٥)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (دمشق:١٩٧٩م).

ثالثاً: المراجع الحديثة:

١. في ظلال القرآن، سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، ط١٧، دار الشروق، (بيروت_ القاهرة: ١٤١٢).

٢. وسطية الاسلام، صالح حبيب الله الصيني، وزارة الأوقاف السعودية، (الرياض: د.ت).
٣. وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، عبد الرب نواب الدين آل نواب، وزارة الأوقاف السعودية،(الرياض: د.ت).
٤. وسطية الإسلام وسماحته، وهبة بن مصطفى الزحيلي، وزارة الأوقاف السعودية، (الرياض: د.ت).
٥. وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار، عبد العزيز بن عثمان التويجري، وزارة الأوقاف السعودية، (الرياض: د.ت).
٦. الوسطية في القرآن الكريم، عَلي مَحَّمد محمد الصَّلاَّبي، ط١، مكتبة الصحابة _ مكتبة التابعين، (الشارقة _ القاهرة: ١٤٢٢).